

The hard Problem

A study in the modern and contemporary theories interpretation of consciousness

Assistant Prof. Baqer Ibrahim ALzaidy
Philosophy department, College of Arts, Wasit University
Iraq
E-Mail: balzubaidy@uowasit.edu.iq

Abstract

Consciousness, This concept is widely circulated in many fields of knowledge, and is automatically realized in ourselves once we have a simple reflection on what is going on within our minds. However, it is one of the most problematic concepts, and the most difficult to explain. Previously consciousness was accepted intuitively, as an directly given to man, man is a rational being without the rest of living beings, but why he is rational? A question no one answer, either old or present, a completely and scientifically accepted. This research" Hard problem- A study in the modern and contemporary theories interpretation of consciousness" does not claim to provide this answer, but rather scans the various answers provided to explain this difficult problem. Analyzing them and revealing their weaknesses and strengths.

Keywords: Hard problem, consciousness, mind, dualism, monism, Chalmers, john searl, brain

المشكلة الصعبة

دراسة لأبرز النظريات الحديثة والمعاصرة في تفسير الوعي

أ.م.د. باقر ابراهيم الزيدي

قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة واسط

خلاصة البحث

الوعي مفهوم متداول بشكل واسع في الفلسفة وحقول معرفية أخرى كثيرة، وهو مدرك في كل واحد منا بشكل تلقائي، بمجرد أن نقوم بتأمل بسيط لما يجري داخل عقولنا، وفي ذواتنا. ومع ذلك، يعد هذا المفهوم من أكثر المفاهيم اشكالية، وأكثرها استعصاء على التفسير. سابقا كان يتم قبول الوعي بشكل بديهي، باعتباره معطى تلقائي للإنسان، فالإنسان كائن عاقل دون بقية الكائنات الحية، أما لماذا هو عاقل؟ ولماذا هو يمتلك وعيا دون بقية الكائنات؟ فهذا ما لم يجب عليه أحد لا قديما ولا حاليا، بصورة شافية ومقبولة علميا. ولا يدعي هذا البحث انه يقدم هذه الإجابة، بل انه يقوم بمسح مختلف الإجابات التي قدمت لتفسير هذه المشكلة الصعبة. محلا إياها وكاشفا عن نقاط ضعفها وقوتها.

الكلمات المفتاحية: المشكلة الصعبة، الوعي، العقل، الثنائية، الواحدية، جالمرز، جون سيرل، الدماغ

المقدمة:

تعد دراسات الوعي والتعمق فيه حقل دراسي جديد وسريع التطور، تتداخل فيه تخصصات متعددة تتضمن علم النفس، والفلسفة، والفيزياء، وعلم الاجتماع، والدين، والأنظمة الديناميكية والرياضيات وعلوم الكمبيوتر وعلم الأعصاب والفن والبيولوجيا وعلم الإنسان وعلم اللغة. في أوائل التسعينيات من القرن الماضي، عده كثير من الدارسين أهم مشكلة لم يتم حلها إلى الآن في العلوم. فضلا عن ذلك، فإن الوعي هو قضية رئيسة في الحوار المستمر بين العلم والدين. النظرة السائدة لتفسير الوعي في العلوم اليوم، هي نظرة مادية اختزالية في معظمها، وقد حقق هذا التفسير نجاحات مهمة، لكنه يواجه أيضًا صعوبات واعتراضات لا تقل أهمية ولم يتم الإجابة عليها بصورة مرضية.

فالإنسان لا يمكن ان يكون مجرد تجمع لمجموعة من الخلايا العصبية وفق نمط معين، إن معظم الناس، بما فيهم من المتعمقين في دراسات الوعي، وفي علم الأعصاب بالذات، يعتقدون أن حياة الإنسان وتظهره الواعي هو أكبر بكثير مما يمكن رؤيته على مستوى الخلايا العصبية البحتة. لذا كان الوعي وما زال يعد مشكلة يكاد يتعذر حلها.

في الوقت الحاضر أصبح يطلق على مشكلة الوعي اسم (المشكلة الصعبة – Hard problem) وهو مصطلح صاغه الفيلسوف الاسترالي "ديفيد جالمرز" عام 1994 وذلك للتمييز بين هذه المشكلة الخطيرة برأيه، وما يدعوه بالمشكلات السهلة، وهي تلك المشكلات التي نعرف كيف نحلها من حيث المبدأ حتى ان لم نكن نحلها بعد وتتضمن هذه المشكلات الإدراك الحسي والتعلم او الانتباه او فعاليات الذاكرة وكيفية تمييز الأشياء او الاستجابة للمؤثرات وكيف يختلف النوم عن اليقظة كل هذه الامور مشكلات سهلة على حد قوله اذا ما قورنت بالمشكلة الصعبة. "بلاكومر. 2016، ص10" والحقيقية ان استخدام هذا المصطلح ليست جديدة تماما، ربما الجديد هو الصياغة له، فقد وجدت اثناء البحث ان (هنتر ميد) قد استخدمه في كتابه (الفلسفة انواعها ومشكلاتها) وذلك خلال عرضه للمشكلة. "هنتر ميد، 1975، ص168).

اما في مطلع القرن الحادي والعشرين، فقد اصبحت دراسات الوعي تشكل مجتمعا محترفاً من المتخصصين ينتظمون في جمعية هي: "جمعية الدراسات العلمية للوعي" – the Association for the Scientific Study of Consciousness المعروفة اختصارا بـ "ASSC" وتصدر هذه الجمعية ثلاث مجلات متخصصة مكرسة بشكل رئيسي للدراسات العلمية والفلسفية هي: "الوعي والإدراك"، "الوعي والعاطفة"، "الوعي وعلم النفس" وتنظم ايضا مؤتمرا نصف سنوي،

وهناك مجلة دراسات الوعي (- the Journal of of Consciousness Studies) اختصارا - "JCS"، وهي مجلة إلكترونية. وهي ايضا تدير مجموعة مناقشات عامة حول الوعي على شبكة الإنترنت. وفي جامعة أريزونا في الولايات المتحدة مركزا للبحوث متخصص في دراسات الوعي، وتنظم الجامعة ايضا سلسلة من المؤتمرات النصف سنوية الهامة منذ عام 1994. "Encyclopedia of philosophy.com".
Stanford, ما الوعي؟

لكن ما المقصود بالوعي تحديدا؟ لنبدأ من قواميس الفلسفة ومن التعريفات التي تعطيها لهذا المفهوم. الوعي يتحدى التعريف، لكنه موجود ومدرك بشكل تلقائي، وثمة معايير تبين لنا متى يمكن للكائن العضوي ان يوصف بأنه يمتلك وعيا، مثل العواطف، الأحلام، التفكير المنطقي بالقضايا، الإدراك الذاتي. وثمة جدل حاد حول ماهية الوعي، ما اذا كان بالمستطاع دراسته، وكيفية دراسته حال امكانها؟ ما الدور السببي الذي يقوم به؟ إن كان له دور سببي- بصرف النظر عن واقعة كونه تحقق دائما حتى الآن في أنساق بيولوجية معينة- لم يتوجب أن يتحقق على هذا النحو؟ "هوند تدرش. ج3. دون تاريخ، ص1041". تعريف يبرز الصعوبات ويثير أسئلة مركزية، لكن دون اجابات مقترحة.

ويجب ان نميز بين معنيين للوعي، المعنى القوي والمعنى الضعيف، فالمعنى الأول يتضمن انعكاس الوعي وأيضا يتضمن الإدراك الذاتي كمقابل للأشياء الأخرى، بمعنى إدراك المرء لذاته وأحواله وأفعاله إدراكا مباشرا، بهذا المعنى فان الوعي يتضمن مقدرة الذكاء والتعقل والتي تكون مقصورة على البشر. لكن بالمعنى الضعيف يتضمن كل تجربة حسية، بالأخص الشعور بالألم ومن ثم تنشأ مشكلة ماهي طبيعة العلاقة بين هذين المعنيين " Lacey. 1996, p.65. (ابراهيم مذكور 1983، ص215).

يمثل الوعي احد المعطيات الأساسية للفكر الذي لا يمكن تفكيكه الى عناصر أبسط. لا يمكن حد الوعي، انما يمكننا ان نعرف حق المعرفة ما هو الوعي، ولكننا لا نستطيع ابلاغ الآخرين وبلا التباس، تعريفا لما ندركه نحن ادراكا واضحا. الوعي هو أصل كل معرفة هو ما نكون عليه، ادنى فادنى، عندما نقع وقوعا في نوم بلا احلام، وما نكون عليه اكثر فاكثر عندما نوقظنا الضجة رويدا رويدا. " (لالاند. 2001، ص211).

لماذا؟ لان العديد من فلاسفة اللغة رأوا ان الكثير من الاسئلة التي كانت تثار في فلسفة اللغة هي حالات خاصة تتعلق بطبيعة العقل، وان استعمال اللغة ليس سوى تعبير اولي لقدراتنا العقلية الاساسية، ولن نفهم بصورة كاملة كيف تقوم اللغة بوظائفها ان لم نفهم اولا نمط حضورها واشتغالها في العقل. لذا اصاب البحث في فلسفة اللغة نوع من الركود .

فضلا عن ذلك فان الفلاسفة المحترفين المهتمين اكثر بنظرية المعرفة -Epistemology- تخلوا عن اعتقادهم السابق بكون مشكلة العلاقة بين الذات والموضوع هي قضية الفلسفة الاساسية، او القضية المركزية، وانتقلوا للبحث في مسائل بناءة عوضا عما كانوا يقومون به من البحث في مسائل المعرفة التقليدية. وان افضل وضع لهذه النقطة البناء هو التعمق بدراسة العقل الإنساني. التي تقضي بالتأكد للسؤال عن وجود الانسان ذاته، كذات واعية انسان حر، ومسؤول، وعاقل، وناطق، واجتماعي، وسياسي، وفنان، وميدع يعيش في عالم مكون بكليته من ذرات مادية لا عقلية ولا معنى لها . فاذا كان الامر كذلك اذاً ما العلاقة بين الوجود الإنساني وبقية انحاء الوجود؟ للإجابة عن هذه الاسئلة يتوجب البدء بدراسة العقل، لان الظواهر العقلية تشكل جسرا يربطنا مع بقية العالم، لذا برز للوجود حقل معرفي جديد هو (علم الادراك المعرفي- Cognitive science) وهدف هذا العلم هو الغوص بعمق في طبيعة العقل اكثر مما كان معتادا في علم النفس التجريبي التقليدي. "سيرل 2007، ص14-16"

لكن هذا لا يعني بالطبع انه حقل فلسفي جديد تماما . نعم على المستوى الفلسفي لم تكن القضية تطرح بصورة جذرية ، فتم قبول وجود الانسان الواعي العاقل بصورة تكاد تكون تلقائية، جراء هيمنة التصورات الدينية. ومع ذلك فالاستثناءات كانت موجودة، لكن لم تكن لها السيادة للمشاهد الفكري في اي من عصور الفلسفة المتوالية، ويرجع الباحثون صدور كتاب "C.D.Broad" (العقل ومكانته في الطبيعة) سنة 1925 بعده العمل الاكثر تركيزا لمشكلة الوعي، بالنسبة لبرود ان ظاهرة العقل هي في المحصلة الاخيرة ظاهرة الوعي " Chalmers. Consciousness and its place in Nature, 1998, p.1" في حين يرى اخرون ان صدور كتاب "جلبرت رايل" سنة (1949) باعتباره البداية المؤسسة لفلسفة العقل كفرع جديد في الفلسفة ، فقد شاد به سيرل وعده مرجعا لا غنى عنه للمهتمين بمشكلة الوعي. "Searle, John. p. xiv."

تاريخيا كانت مشكلة الوعي تتوارى خلف مشاكل فلسفية اخرى، مثل مشكلة المعرفة، وبصورة اكثر وضوحا، مشكلة العلاقة بين العقل

في التعريف الاخير، يصبح الوعي الذاتي انطولوجيا. والذاتية في هذه الحالة ليست مسألة تخص الأبستمولوجيا، بل هي مسألة تتعلق بمنزلة الانطولوجية، والذاتي انطولوجياً، غير قابل للرد الى الموضوعي انطولوجياً، فلا يمكن الاعلان بثقة عن حالة تطابق بين محتويات الوعي وموضوعات العالم الخارجي .

الوعي هو ان تمتلك القدرة على وصف الحالة العقلية التي تعيشها من وجهة نظرك الذاتية، هو ان تمتلك القدرة على الاجابة على السؤال: كيف يبدو؟ او: مثل ماذا؟ اي شيء من الاشياء حين تجابه بالسؤال عنه .

وقد رأى عدد من فلاسفة الوعي انه من المفيد إدخال اصطلاح تقني للإشارة الى الصفة الخاصة التي يتميز بها الوعي ، فالشعور عند الانسان يختلف بحسب المواقف التي يمر بها ، فالشعور اثناء تناول وجبة طعام لذيذة يختلف عن الشعور بسماع اغنية جميلة او تذكر حادثة اليمه . والمصطلح المتداول الآن للإشارة لهذه الحالات هو : (كواليا- Qualia) اي الصفات الجوهرية وهذه صيغة جمع اما مفردها فهو (Quale) والمصطلح مأخوذ من (Qualitative) بمعنى الكيفيات، فكل شعور نختبره يتميز بصيغة كيفية معينة، وهو فضلا عن ذلك ذاتي، وبالتالي فكل تجربة واعية تمتاز بالذاتية. "Chalmers, the conscious Mind, 1995, p.IX."

ولا اريد الاسترسال في مزيد من التعريفات لأنها تكرر ذات الأوصاف للوعي بطرق مختلفة، وإن أردنا التعبير بكلمة واحدة عن الوعي لقلت انها مفردة "الأنا" فالأنا الواعية التي هي انت وشعورك بوحدة واستمرارية هذه الانا، منذ ولادتك الى مماتك هذه الانا الواحدة في الزمان هي التي تشكل جوهر الوعي . التي تجعلنا نشعر بان هناك عالمين ، وهما عالم الانا والوعي من جهة، والعالم الفزيائي الذي يحيط بنا من جهة اخرى .

ولنرى الآن كيف عاد الاهتمام للبحث في هذا الموضوع فلسفيا وعلميا من جديد ؟

هناك جملة من الاسباب جعلت من مشكلة الوعي هي المتسيدة للمشاهد الفكري في أواخر القرن العشرين وبداية الألفية الجديدة يجملها "جون سيرل" أحد أبرز فلاسفة الوعي المعاصرين بالتالي:

كانت فلسفة اللغة هي المتصدرة للمشهد الفلسفي والفكري الى سنوات متأخرة من القرن العشرين، وكثير من الفلاسفة راوا ان مجالات فلسفية متعددة هي نتاج الاشتغال في فلسفة اللغة بل وتعتمد عليها في حل مشكلاتها. لكن بعد ذلك انتقل مركز الانتباه الى فلسفة العقل او الوعي

فذكر بعضها يعطي الانطباع وكأنها هي الوحيدة التي ينطبق عليها الوصف والامر خلاف ذلك تماما. على اية حال ان مشكلة الوعي كانت تتوارى خلف هذه التقسيم الكبير للفلسفة، مثلما تورات خلف مشاكل فرعية اخرى في الفلسفة مثل مشكلة المعرفة.

ومن نافلة القول ان الاديان سواء كانت الوضعية منها ام السماوية - لا اميل لهذا التصنيف لانها تشترك ببنية واحدة - اسبق من الفلسفة بطبيعتها الحال، فان الايمان بالثنائية ملازم لها فالثنائية جزء اساسي من بنيتها الداخلية، وطبيعة المفاهيم التي تستعملها والتي توّطر هذه البنية (خالق ومخلوق - روح وجسد - عالم فاني وعالم ابدى - الخ)

وربما كانت الفلسفة في نزعتها الثنائية امتداد لهذه النظرة الدينية الثنائية والتي هي الاخرى انعكاس لاستشعار الانسان بوجود عالمين مختلفين فيه اي الاحساس بثنائيته كما اشرت الى ذلك قبل قليل.

وحضور الثنائية في تاريخ الفلسفة كان هو الأقوى خلاف الوحدانية، لأنها ببساطة- اي الثنائية - تعبر عن وجهة نظر الإنسان العادي او ما يدركه كل الناس في داخلهم بشكل بديهي من وجود عالمين. والفلسفة الغربية وخصوصا بعد ان اصبحت اوربا مسيحية كانت في معظم حالاتها انعكاس للثنائية الدينية المسيحية وتماشيا معها "هنتر ميد. 1975، ص138". وهو ما حصل ايضا مع الفلسفة الاسلامية بصورة مدهشة ، لان الفلاسفة المسلمين وقفوا ضد اراء القدماء من الفلاسفة اليونانيين (الواحديين) اللذين قالوا بالمبدأ الواحد اصل للوجود او اللذين قالو ان العالم قديم اي لا بداية زمانية له. دفعا منهم عن الثنائية الاسلامية وعقلنة لهذه الثنائية في ذات الوقت.

الارث الديكارتي

إن ظهور الثنائية بصورتها الفلسفية الحادة مع ديكارت في العصر الحديث، هي صياغة نموذجية لما يسمى بنظرية التأثير المتبادل (Interactionism) وتتويج فلسفي لها. فهي تفترض ان الانسان مكون من جوهرين متميزين (عقل او فكر) و (مادة - جسم) اي ان العقل اللامادي يؤثر في الجسم المادي فانت ترغب في تحرك يدك مثلا والرغبة هي شيء غير مادي لكنها تتحول الى حركة في الجسم من خلال حركة اليد الفعلية وبشكل فوري، وبالعكس اي ان استشعار الجسم لما ما نتيجة ضربة او وخزة فأنها تترجم فوراً الى شعور بالألم في الوعي وكأن الامر تأثير من المادي في اللامادي فكيف يحصل هذا الامر؟، و هناك مبدأ فلسفي راسخ هو ان الجوهر قائم بذاته غير محتاج الى شيء خارج ذاته. والجواهر المختلفة ما هوبا لا يمكن ان يلتقيا او ان يؤثر

والجسم. لكن طوال تاريخ الفلسفة، كان الفلاسفة الذين انشغلوا بمشكلة المعرفة دون بقية مشاكل الفلسفة، لم تكن معالجتهم للوعي كمشكلة اساسية مستقلة وقائمة بذاتها من حيث، طبيعته وماهيته، فلم يكن سؤال الوعي هو المبدأ ومنه منطلق بحثهم، بل كان يتوارى خلف اسئلة المعرفة، ادواتها، وطبيعتها، وحدودها، ويكون الوعي هو الحصيصة النهائية لعملية المعرفة فإنسان عارف هو انسان يمتلك وعيا، دون ان يكون هناك تساؤل على غرار لماذا الوعي اصلا؟ لماذا هناك انسان واعى؟ وما هو الوعي بالنهاية؟

قلت ان المشكلة الابرز التي ترافق معها مبحث الوعي في تاريخ الفلسفة هو مشكلة العلاقة بين العقل والجسم. التي ظهرت بصورة جلية في العصر الحديث مع الفلسفة الديكارتية لكن في سياق أوسع ألا وهو نظريته الثنائية الحادة في وجود جوهرين جوهر عقلي ماهيته الأساسية الوعي او الفكر وجوهر مادي ماهية الأساسية الامتداد. وخير من يجسد هذين الجوهرين في الوجود هو الانسان، لان الجوهرين، الجوهر العقلي والجوهر المادي يلتقيان فيه.

الثنائية تعكس مشكلة الوعي بطرق مختلفة :

ان ثنائية المادي واللامادي هي بصورة ما انعكاس لثنائية العقلي والجسمي وليس العكس، ان الانسان يستشعر في نفسه اولا هذه الثنائية بشكل واضح ومن ثم يسقطها على العالم الخارجي. لكن هناك الكثير من الفلاسفة الميتافيزيقيين يعكسون القضية، فيبدون من العالم الخارجي ويميزون فيه بين مادي ولا مادي ومن ثم ينتقلون الى الانسان. وربما استقر في اذهانهم ان البداية من الكلي غير المحدود واللامتناهي الى الجزئي المحدود والمتناهي سيسهل عليهم تفسير الاخير بشكل تلقائي. فضلا عن ان الامر يبدو منطقياً اي الانتقال من الكلي الى الجزئي، لكن جذر المسألة هو العكس تماما فلولاً الشعور الطاغي عند الانسان بوجود عالمين متميزين فيه عالمه العقلي اللامادي من جهة وجسده المادي من جهة اخرى، لولا هذا، لما تجشم الميتافيزيقيون عناء تفسير الوجود الكلي بالركون الى الثنائية.

وعلى هذا الاساس يمكن تصنيف تاريخ الفلسفة والفلاسفة الى تيارين كبيرين (ثنائيين) و (واحديين) اي بمن يقول بعنصرين متميزين او جوهرين متميزين (العقلي - والمادي كما عند ديكارت مثلا) او بمن يقول بجوهر واحد (اما عقلي او مادي) مثل الفلاسفة اليونانيين القدماء الذين عاشوا قبل سقراط او هوبز و سبينوزا في الفلسفة الحديثة. والحقيقية انا اذكر الامثلة على مضمض لان كل تاريخ الفلسفة حافل بها

ويوجد لكل نوع من هذين الجوهرين فرع مميز وملامح لدراسته. فالمادة يدرسها علم الفيزياء، والعقل يدرسه علم اللاهوت الكنسي والفلسفة. "ت.ز. لافين - 2014، ص144-145". ان حرية ارادتي لن تؤثر على سلوك جسدي المادي لانه خاضع للقوانين الفيزيائية مثله مثل بقية الاجسام الاخرى. العقل غير قابل للتجزئة بينما المادة تقبل ذلك. والاكثر اهمية من ذلك ان ديكارت اكد ان الانسان قادر على ان يتخيل نفسه موجودا بدون جسم. لا تكمن المشكلة بالنسبة لديكارت في السؤال العام كيف يمكن للجوهر العقلي ان ينبثق من البيولوجيا العصبية لان هذا الابتناق وفق رايه غير ممكن، ولكن بالأحرى كان سؤاله كيف يمكن لمحتويات عقلية كالشعور بالألم ان تنشأ من تأثير جرح في الجسم؟ لأنه يعتقد ان الاجسام والادمغة تفتقر الى الوعي، خلاف الاعتقاد السائد الان حتى بين الثنائيين انفسهم، وهو ان الاجسام والادمغة واعية. في حين ان ديكارت يعتقد ان العقل منتشر في الجسم كله وليس هناك عضو محدد في الجسم يكون مسؤولا عن التعقل، فالعقل في الانسان ليس كالمقبطان في السفينة يحتل مكانا محددًا منه يقود السفينة. انه ليس موجودا في حيز محدد من الجسم، وهذا ما دفع (بجلبرت رايل) ان يسخر منه من خلال التشبيه المشهور (Gilbert Ryle. 2002.) (ghost in the machine - الشبح في الآلة) (P.43) فمثلما الشبح في التصور الشعبي يخترق الاشياء والحواجر ويتخللها بدون اي عائق فهكذا هو العقل في الجسم مثل الشبح، ولهذا السبب قال ديكارت بإمكانية ان يتخيل الانسان نفسه بدون جسم. لكن ديكارت اعترف في النهاية بصعوبة المسألة حين طلبت منه الملكة كرسيتين ملكة السويد ان يفصل لها المسألة بشكل حاسم. " يوسف كرم . ص84 " هذا اذا غضينا النظر عن حله الساذج باقتراضه الغدة الصنوبرية كنقطة التقاء بين هذين الجوهرين المتميزين وفيها تتم ترجمة الاوامر من عقلية الى مادية او من مادية الى عقلية. هذه جملة من المشاكل التي اثارها الحل الديكارتي ولنرى كيف تعامل اتباعه مع هذه المسألة .

ان اتباعه فيما بعد تجاوزا هذه المشكلة الى حل اكثر غرابة وهو قولهم باستحالة الاتصال بين الجوهرين فهما عالميين متوازيين خلقهم الله وقدر افعالهم هكذا منذ الازل، فان اراد احدهم شيئا استجاب الاخر وبصورة متوازية وفورية له لكن دون ان يكون بينهم اتصال. وتسمى هذه النظرية بشكل عام نظرية التوازي (parallelism) لكن تسمى بمذهب المناسبة (occasionally causes) حين تم طرحها من قبل "جولنكس" و"مالبرانش"، وفيما بعد "ليبنتز".

احدهما بالأخر ؟ فكيف يحصل ان يؤثر العقلي في الجسمي ، او الجسمي في العقلي. لذا كانت تسميتها بنظرية التأثير المتبادل تسمية مناسبة جدا لها.

وبما ان هذا التفسير ينطوي على صعوبات كثيرة تواجه الفيلسوف الذي يأخذ به، لذا كان الحل الديكارتي ملغما منذ البداية واثار جملة من المشاكل اكثر مما قدم حولا، ومعظم المشاكل التي اثارها هذا الحل هي التي تشغل الباحثين في مشكلة الوعي اليوم، ليس فقط في الفلسفة بل في حقول علمية متعددة وسنأتي على هذه المسألة لاحقا .

والان ماهي هذه المشاكل التي اثارها الحل الديكارتي؟ فان كان ديكارت قد اثبت وجود العقل - الوعي فهو انما اثبت بذلك وجود عقله الخاص المفرد، لكن كيف يكون الامر مع العقول الاخرى؟ بمعنى كيف يمكن اثبات ان لأخرين عقول مثلي، كيف اعرف ان لديك عقلا مادام العقل الوحيد الذي اعرفه بصورة مباشرة هو عقلي؟ حسنا يمكن تجاوز هذه القضية من خلال التشابه الموجود بيني وبينك، فالتشابه والقياس ومن ثم الاستنباط منهما. لكن هل هذا ممكن؟ طبعا غير ممكن برأي الفيلسوف بركلي وان الاستنتاج المنطقي الوحيد هو انني الشخص الوحيد في العالم الذي يمتلك حالات عقلية لهذا سمي مذهبه (بالانا واحدية - solipsism). المشكلة الاخرى التي يخلها لنا الحل الديكارتي هي وجود العالم الخارجي وهل هو موجود حقا ؟ أم أنه مجرد أفكار وصور عقلية في وعيي، مجرد تمثلات - representations ولا شيء غير ذلك؟ الحقيقية ان ديكارت استنجد بالوعن الالهي كي يضمن وجود العالم الخارجي .

مشكلة أخرى يمكن ان تطرح بسبب الثنائية الديكارتيّة ألا وهي مشكلة حرية الارادة، فالاستنتاج السليم من حجة ديكارت في وجود الجوهر العقلي هو انني حر بل هي صفة من صفات عقلي، لكن ان كانت ارادتي الحرة صفة من صفات عقلي فكيف يكون بإمكانها ان تؤثر في العالم المادي؟ بل كيف يتسق هذا مع تصور الفيزياء في عصره، وهو التصور الميكانيكي الالي الذي تم تعزيزه تدريجيا منذ ان قال كوبر نيكوس بمركزية الشمس في بداية القرن السادس عشر وتعزز اكثر مع قوانين "كبلر" و"غاليليو" وتوج بانتصاره الكبير بفيزياء "نيوتن". كيف يتسق قول ديكارت بحرية الارادة مع هذا التصور المادي المحكم ؟

جواب ديكارت هو :

ان العقل لا يشغل اي حيز وليس في حالة حركة وليس جزءاً من اية الية مادية، وغير قابل للانقسام. على عكس الجوهر المادي الممتد في المكان الخاضع للحركة الميكانيكية وليس له ارادة حرة او اية صفات اخلاقية.

هو الانسجام الذي يتحقق بفضل فن الهي ازلي كون منذ البدء هذين الجوهرين المادي والروحي بشكل فائق الكمال ونظمهما بغاية من الدقة فلو ان واحدا من هذين الجوهرين اتبع قوانينه الخاصة التي هي جزء من كيانه ووجوده ، لاتفق اتفاقا تاما مع الجوهر الاخر ، ويتم كل شيء كما لو كان هناك تأثير متبادل او كما لو كان الله يضع يده عليهما باستمرار (ليبنتز ، 1982، ص132-135) فالنفس على سبيل المثال ان ارادت تحريك اليد فان اليد تتحرك على الفور لكن دون ان يكون هناك اتصال مباشر بينهم وانما هو تناسق ازلي بين ارادة النفس في تحريك اليد واستجابة الجسم له .

كانت الثنائية الديكارتية مهمة في القرن السابع عشر لأنها فصلت مجال الدين عن مجال العلم. الا ان ذلك لم يكن بشكل حاسم ان ما حاول ديكارت ان يفعله هو اعطاء العالم المادي الى العلماء وعلم العقل والنفس الى رجال الدين وهي خارج نطاق البحث العلمي المادي لكن هذه كانت تهديئة مؤقتة . لأنه مع الفيزياء النيوتنية ترسخ علم الفيزياء ومعه ترسخ التصور الميكانيكي المادي للكون بصورة حاسمة في المنظومة المعرفية الحديثة ، التي بدأت بالتشكل في اوربا منذ عصر النهضة . لكن يقين الفيزياء النيوتوني اثار شكوك جديدة وجديفة ، فتصور العالم بوصفه نظاما ميكانيكيا قد اثار مشكلات لم يكن بمقدور الفيلسوف الميتافيزيقي ان يتملص منها كما حاول ديكارت ان يفعل . وعلى وجه التحديد ان كون الانسان موجود داخل العالم هو امر يثير تساؤلا عما اذا كان واقعا داخل هذا الاطار الميكانيكي ام لا ؟ هل يعني هذا ان الانسان ايضا يخضع لقوانين الفيزياء مثله مثل بقية الاشياء المادية من حوله ام انه استثناء ؟ ، وانه يشكل مملكة داخل مملكة . واذا كان الامر كذلك فمن اين يأتي هذا الا حساس. والسؤال الان هل نحن استثناء ام لا؟ وماهو العنصر الاستثنائي الذي يجعلنا مميزين؟

بكل تأكيد انتم تعرفون الجواب لأنه مدرك بصورة تلقائية من قبل كل انسان، وهو موجود في كل فرد منا، فالإنسان يدرك انه متميز عن الطاولة او الكرسي من حوله ويدرك انه متميز عن الاشجار وعن الحيوانات ، ذلك لأنه يمتلك عقلا انه يمتلك الوعي .

لكن هذه البساطة في ادراك وجود الوعي في كل واحد منا تثير اكثر المسائل تعقيدا وصعوبة على الاطلاق، سواء على المستوى العلمي او المستوى الفلسفي . وبما انه لا يمكن تجنب تاريخ الفلسفة ان اردنا معالجة مشكلة فلسفية، لكنني سأجنبه هنا ذلك ان الحل الديكارتية بقي حلا نموذجيا واستغرق جميع الاسئلة بطريقة او اخرى. لان الثنائية هي

يرى جولنكس وتبعه في ذلك المايرنث ان انه في كل نشاط حقيقي لايد ان يعرف الفاعل انه يفعل ، وكيف يفعل، وبالتالي فانه يترتب على ذلك بوضوح ان الشيء المادي لا يمكن ان يكون فاعلا عليا حقيقيا ينتج معلومات سواء في شيء مادي اخر او في جوهر روحي ، لأنه مادام ان الشيء المادي يعوزه الوعي فانه عاجز ان يعرف انه يفعل وكيف يفعل ، وبالمثل ايضا يترتب على هذه المقدمة ان (الانا) من حيث انها روحية لا تنتج بالفعل سواء أكانت في جسمي أم في أي جسم اخر تلك المعلومات التي تؤدي الى طريقتي الطبيعية في التفكير . فانا الاحظ التغيرات والحركات في بدني لكنني لست الفاعل ، الحقيقي لها رغم افعال ارادتي الداخلية، لأنني لا اعرف طبيعة الارتباط بين افعال ارادتي والحركات المترتبة عليها في جسمي. حسنا اذا كان الامر كذلك فكيف نفسر الواقعة التي تقول ان الارادات تتبعها حركات في الجسم ، وان التغيرات في الجسم تتبعها احساسات وادراكات في الوعي؟ الجواب هو: ان فعل ارادتي هو مناسبة (occasionally) يحدث فيها الله تغيرا او حركة في الجسم وعلى نحو مماثل فالحدث الفيزيائي في بدني هو مناسبة يحدث فيها الله حدثا فيزيائيا يقابله في وعيي. ان العقل والجسم اشبه بساعتين محكمتي الصنع ودقيقتين بالتوقيت لاثوثر احدهما في الاخرى ولكنهما يشيران دوما الى ذات الوقت، لان الله جعلهما يتفقان زمنيا في حركاتهما باستمرار. (كوبلستون. 2013م. 4. ص247-248).

ان مشكلة الوعي واسئلته مطروحة هنا بكل حدة ووضوح ، لكن الركون للحل اللاهوتي افرغ الاسئلة من محتواها، وسد الطريق امام التعمق بصورة جدية في البحث عن اجابة . لان استدعاء الله للخروج من المأزق لا تتوافق مع العقل لانه يقضي بعدم جواز هذا التدخل الالهي الا كما يتدخل في سائر الامور الطبيعية الاخرى. وسيتابع (ليبنتز) نفس الحل بل ويستخدم نفس التشبيه في نظريته. يقول: عندما شرعت في تأمل اتحاد النفس بالجسم شعرت كما لو كان قد القي بي في مجهول في عرض البحر ، ذلك اني لم اجد وسيلة ما افسر بها كيف يتسنى للبدن ان يؤثر في النفس وبالعكس . كان ليبنتز يعتقد ان هذه العلاقة هي صورة مصغرة لعلاقة الله بالعالم فاذا امكن التوصل الى حل نهائي للأولى امكن تفسير الثانية بالاستناد اليها . وحتى يقدم ليبنتز حله لهذه المشكلة قدم نظريته المعروفة في تاريخ الفلسفة باسم (التناسق الازلي pre- establish harmony) النظرية الاكثر تحببا الى نفسه دون آرائه الاخرى ، حتى انه كان يجب دائما ان يورد اسمه مقترنا بها، لأنها براهيه تفسر تفسيرنا نهائيا عملية الادراك وطبيعة الوعي وعلاقة النفس بالجسم . ان التناسق الازلي

هل يمكن لنا ان نعالج مشكلة الوعي دون ان نضع الله في الحسبان؟
مثلما قلت في بداية هذا البحث ان هذا الحقل الدراسي الجديد سريع التطور وتتداخل فيه تخصصات متعددة تتضمن علم النفس، والفلسفة، والفيزياء، وعلم الاجتماع والدين والأنظمة الديناميكية والرياضيات وعلوم الكمبيوتر وعلم الأعصاب والفن والبيولوجيا وعلم الإنسان وعلم اللغة.

طبعا يحلوا للكثير من العلماء المتخصصين في العلوم الدقيقة، ان لا يضعوا الله في الحسبان في تفسيراتهم لظواهر العالم المختلفة، لأنه برايمم افتراض سابق، ولا يحل المشكلة. فأن اراد احد ما ان يستعين به، فالمنظومة الدينية التقليدية تقدم له اطارا فكريا لطرح الاسئلة والاجابة عليها لكن بطريقة اخرى. والديانات بشكل تقليدي تعتبر من المدافعين عن الثنائية بشكل تقليدي لانها تمثل صميم ما تؤمن به من وجود عالمين عالم روحي وعالم مادي .

ما الذي يمكن ان نقوله الفلسفة اليوم بخصوص الوعي ؟ هذا ان كان يحق لها فعلا ان تقول شيئا .

ذكرت في بداية البحث ان الباحثين في الوعي ا يطلقون تسمية (المشكلة الصعبة Hard- Problem) المصطلح الذي صاغه الفيلسوف الاسترالي جالمرز وهو من الناشطين في بحوث الوعي واصدر عدة مؤلفات حول الموضوع يتساءل فيها عن الوعي ولماذا يوجد ؟ وماهي وظيفته تحديدا ؟ وكيف يمكن له ان ينشأ عن مجموعة من الخلايا المادية والعمليات العصبية في الدماغ ؟ "Chalmers,1995.p3"

وهي تعد بحق المشكلة الاصعب من بين المشكلات الفلسفية في فلسفة العقل ، ربما صعبة بصورة مستحيلة . انها تقجر السؤال الاولي بكل عفوانه وهو :كيف يمكن للوعي ان يوجد على اية حال ؟ لماذا نحن كائنات واعية ؟ كيف يمكن للمخ ان يسبب الوعي ؟ ان كان له دور في ذلك ياله من سؤال شائك، العقل يحاول ان يدرس نفسه ويعرف ما هو انه مثل محاولة العين ان ترى نفسها .

واذا ما اردنا تصنيفا لمجمل النظريات والآراء المعاصرة حول الوعي فهي بشكل عام لا تخرج عن التصنيف الذي ذكرته سابقا عن تاريخ الفلسفة فهي لا تخرج عن احد الاتجاهيين فهي اما ثنائية او احادية .ولنبدا بالثنائية المعاصرة، طبعا مع الاخذ في الحسبان ان الثنائية الجوهرانية على الطريقة الديكارتية لم تعد مقبولة اليوم بين الباحثين. ربما هي مقبولة فقط عند اللذين اولوياتهم دينية وليست فلسفية او علمية. والاستثناء هو ما ذكره سيرل وهو دفاع "كارل بوبر وجون اكليس –

عقيدة الانسان العاديو بتعبير اصح هي الموقف الطبيعي للإنسان العادي ،قبل ان تصبح مذهبيا فلسفيا. والاسئلة مازالت هي ذاتها. وسأستبعد المثالية لأنها ببساطة تطرح بشكل عام ان الوجود هو في جوهره عقلي وان العالم المادي الذي نعيش فيه هو ليس سوى نوع واحد من الحقيقة العقلية الاساسية ، وهو راي ليس له اية تأثير حاليا على فلسفة الوعي.

ربما الراي الوحيد الجدير بالذكر هنا هو نظرية الظاهرة الثانوية (Epiphenomenalism) والتي كانت شائعة عند ماديي نهايات القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . وهذه النظرية تبدو ثنائية لكن بطريقة مختلفة ومخففة ، فهي برزت نتيجة للصعوبات الكثيرة التي تطرحها نظرية التأثير المتبادل كما مر بنا . تدعي هذه النظرية ان العقل والجسم صحيح انهما متمايزان عن بعضهما ولكن الجسد يؤثر في العقل لكن العكس ليس صحيح فهو تأثير يسير باتجاه واحد ،اي ان العلاقة بينهما ليست سببية متبادلة مثلما هو الحال في نظرية التأثير المتبادل فهي بنظرها علاقة لا تبادلية اي انها علاقة تسيير باتجاه واحد فقط ، وهكذا يصبح الذهن مجرد ظاهرة او ظلا للنشاط الجسمي .وكما يعبر برجسون عن ذلك بقوله: ان الوعي يبدو بالنسبة للجسم مجرد هالة تتراقص فوق عمليات المخ "هنتر ميد 1975.ص162".

على هذا الاساس فان نظرية الظاهرة الثانوية تقر بوجود الظواهر العقلية لكنها تنكر فاعليتها بشكل كامل ، وبالتالي فان الوعي يصبح مجرد نتاج ثانوي لفاعلية الجسم الفزيائية ، انه ظاهرة مصاحبة لفاعلية الجسم ، وليس له اي دور في تحديد السلوك ، فهي تنكر حرية الارادة . وبالرغم من ان هذه النظرية تبدو متماشية مع الراي العلمي الذي يرفض القبول باي مفهوم غير مادي وهذه النظرية تكاد ان تفعل ذلك ، الا انها رفضت من قبل الكثيرين، ولیم جيمس مثلا الذي يرى انها تجعل من الوعي اشبه بظل يرافق خطوات السائر ولا شيء اكثر من ذلك في حين ان تجاربنا وخبرتنا اليومية تخبرنا خلاف ذلك.

وفي عالمنا المعاصر اليوم يا ترى كيف تتم معالجة مشكلة الوعي في حقول المعرفة ذات الصلة بالموضوع؟ تبدأ المعالجة من حقيقة ان الفلسفة لم تعد وحدها في الميدان، ولا يمكن لها ان تقول شيئا عن الوعي له مصداقية علمية في الوسط الفكري من دون الاستعانة بالعلوم المهتمة بهذه المشكلة. مثلما لا يمكن لها ان تقول شيئا عن الوجود كما كانت تفعل سابقا، بتجاهل حقائق الفيزياء.

المادية التي تحيط به فان الثنائية ستستمر ان لم يتقدم احد ويحل المشكلة بشكل جذري ويقدم تفسيراً ينسجم مع معطيات العلوم ذات الصلة. لهذا يبرز من فلاسفة اليوم من يدافع عن الثنائية وسأخذ مثلاً لذلك هو ديفيد جالمرز - الذي اصدر اكثر من اربعة كتب عن مشكلة الوعي، فضلاً عن الكثير من المقالات. وهو يسعى في ثنائياته الى نوع من الفيزياء يدخل فيها الوعي كاحد عناصر الطبيعة، اذ طالما يسعى علماء الفيزياء الى العثور على نظرية تفسر كل شيء (the theory of Everything) في الكون، ومساعهم هذا يقوم على مبدأ ان القوانين الفيزيائية هي الاساس الوحيد لفهم العالم وهو ما يسمى بالاختزال (Reductive) والذي يعني بصورة عامة ان الحالات العقلية الواعية يمكن اختزالها وردها الى حالات فيزيائية سابقة عليها، وهي كفيلاً بتفسيرها وهم يعتقدون اننا لا نحتاج سوى قوانين الفيزياء لفهم العالم ككل، بكل تفاصيله، فعمل النفس يمكن اختزاله تحت مظلة البيولوجيا وهذه ضمن الكيمياء التي بدورها يمكن اختزالها في اطار الفيزياء. هذه هي الصورة الاكثر تطرفاً من الاختزالية ومع ذلك فانهم لا يستطيعون تجاوز ما يسمى (الفجوة التفسيرية، او الهوة التفسيرية - Explanatory Gap) فقد عجز اصحاب الاختزالية في تجاوزها لأننا نجد الفيزياء لا تكاد تقول شيئاً عن مشكلة الوعي، وغير قادرة على تجاوزها، فلم يجد العلم الى الان التفسير الكافي لكيفية تحول الحالات الدماغية الى حالات عقلية وشعورية تمتاز بذاتية بحتة. (Jossep Levene, 1999, p.60) هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى فأنا السعي وراء نظرية تفسر كل شيء لن تكون كذلك ان لم نستطيع تفسير الوعي. وجمالمرز يرى ان الوعي غير قابل للاختزال الى اي من الوحدات الاساسية المعروفة في الفيزياء مما يدعو الى افتراض ان الوعي نفسه قد يشكل وحدة اساسية من نوع جديد، ولكنها في الوقت نفسه غير منفصلة عن الطبيعة فطالما هناك وحدة اساسية، كذلك توجد قوانين اساسية وفي حالتنا هذه يجب على القوانين ان تكون قادرة على ربط تجاربنا الواعية بعناصر الفيزياء بدون ان تتعارض هذه القوانين مع العالم الفيزيائي. لان الاخير يشكل منظومة مغلقة خاصة به وعلى هذا الاساس سيشكل جسراً يحدد كيفية اعتماد التجربة الواعية على التغيرات الفيزيائية التي تستند اليها، وهذا الجسر هو الذي سيجتاز الهوة التفسيرية، فجالمرز لا يقفز على قوانين الفيزياء، بل يؤمن بان الوعي هو جزء اساسي من مكونات الطبيعة، وحالما تكشف القوانين الخاصة به حتى يشكل مع الوحدات الاساسية الاخرى في الطبيعة منظومة شاملة تغير طريقة فهمنا للكون. "chalmers, 1996, p.89-91" انه يفترض ان

John Eccles" في عمل مشترك لهما، انه يوجد عالمان كل منهما مستقل عن الاخر، العالم الاول هو عالم الاشياء والحالات المادية والعالم الثاني عالم حالات الوعي، كل من هذين العالمين مستقل ومتميز عن الاخر لكنه يتفاعل معه واقعياً، ويضيفون الى هذين العالمين عالماً ثالثاً، وهو عالم (الثقافة وكل مظاهرها) وهذه هي نظرية العوالم الثلاث التي يتم تداولها مقرونة باسم بوهر دوما. "سيرل، 200. ص 40-41". اما استحالة الثنائية الجوهرانية على الطريقة الديكارتية فأنها متأنية من استحالة انسجامها مع معطيات الفيزياء المعاصرة التي تقول بثبات (المادة - الطاقة) في الكون، فاذا كان العقل جوهر غير مادي وبذات الوقت يحرك اشياء مادية فهو يضيف طاقة جديدة للكون، واذا كان الامر كذلك فهذا يعني ان احد اسس وقوانين الفيزياء وهو قانون حفظ الطاقة على خطأ.

وهناك نوع من الثنائية ليس بحدّة الثنائية الجوهرانية تسمى (الثنائية الوصفية - property dualism) تدعي هذه الثنائية انه مثلما يوجد نوعين من الجواهر في العالم فهناك ايضاً نوعان من الصفات واحدة مادية والاخرى غير مادية والانسان لا يتكون من جوهرين، ولكن اجسادهم المادية وبالأخص ادمغتهم بالإضافة الى امتلاكها للصفات المادية، فانه لديها ايضاً صفات عقلية. اي انها تتهرب من تأكيد الوجود المستقل للجوهر العقلي بشكل تام، لكنها في الحقيقية لا تستطيع تجنب ذات الاعتراضات التي قيلت بوجه الثنائية الجوهرانية، ومن ابرز هذه الاعتراضات كيف يمكن لسلسلة من الحوادث المادية ان تقود في النهاية الى حدث غير مادي؟ فالثنائية الوصفية لا تستطيع الافلات من هذه النقد عن طريق التلاعب بالتسمية فالإتيان بمصطلح الصفات عوضاً عن الجوهر العقلي، لا يسعها ابداً من الخروج من شرنقة الثنائية التقليدية. ومع ذلك وبالرغم من كل هذه الانتقادات للثنائية فأنها ستبقى اثيرة للإنسان العادي. فضلاً عن بعض المفكرين بل وحتى العلماء.

فمن المعروف ان النظرية النسبية وفيزياء الكم كانتا قاعدة لفلسفات وتأملات اشترك فيها العلماء والفلاسفة على حد سواء، لهذا نجد عالم الفيزياء (جيمس جينز) يؤسس للمثالية الرياضية، لان الفيزياء المعاصرة برايه تكشف لنا عن وجود كائن اعلا او مهندس عظيم، وان العالم المادي ظل للحقيقة الخالدة. (ياسين خليل، 1970. ص 183).

صحيح انه يشيد نظاماً فلسفياً ثنائياً اعتماداً على معطيات الفيزياء، لكنه يعكس بصورة عميقة ثنائية المادي واللامادي او ثنائية العقلي والمادي. فطالما يشعر الانسان انه يمتلك وعياً وهذا الوعي متميز عن الاشياء

ادعاء بوجود او عدم وجود عقل. لان السلوكية منهج وليست انطولوجيا فلسفية ، لذا فان السؤال عن العقل ووجوده هو سؤال لا صلة له بالموضوعية . وقد تبني بعض الفلاسفة مقولة السلوكية وعلى راسهم فيلسوفي الوضعية المنطقية (اوتونيو راث و رودولف كارناب) وكذلك – (جلبرت رايل) فاذا كان علماء النفس السلوكيون قالوا: لا يوجد مكان للثنائية الديكارتية في البحث العلمي، ففلاسفة الوضعية المنطقية يرون ان ديكارت كان مخطئا منطقيا باستدلالاته. وعندهم ان الحياة العقلية والنفسية للإنسان هي بيان كيف ان القضايا التي نعبر بها عن العمليات العقلية والشعورية، هي قضايا مكافئة منطقيا لقضايا السلوك الخارجي للأفراد اي قضايا لها معنى واحد، اي التعبير عنها كعمليات بيولوجية تحدث في مكان وزمان، وبالتالي يمكن رد علم النفس الى علم الفيزياء للتدليل على وحدة العلم. وهو المشروع الذي أملت الوضعية المنطقية من تبنيتها السلوكية وتفسيراتها للحياة العقلية ان تحققه. ومع ذلك فليس هناك من احد منهم قدم شرحا معقولا وله مقبولية علمية لكيفية ترجمة القضايا العقلية الى سلوكية اذا كانت مكافئة لها منطقيا كما يقولون." passmore.John,1972.p.376-378.

لكن السلوكية تعرضت الصعوبات في اواسط القرن العشرين ادت الى انهيارها ورفضها كمشروع منهجي فوصلت الى طريق مسدود في علم النفس، وهاجمها عالم اللغة (نعوم تشومسكي) الذي يرى ان الفكرة التي تقول ان البحث في علم النفس هي فكرة غير معقولة كالفكرة التي تقول أن البحث في الفيزياء هو بحث في جهاز قراءة القياسات، ولكن من الخطأ الخلط بين الدليل لموضوع معين والموضوع نفسه، إن موضوع علم النفس هو العقل الإنساني، والسلوك الإنساني هو دليل لوجود العقل، ولكن ليس هو بذاته العقل . "سيرل . ص49 . والحقيقية ان معظم (فلاسفة الوعي) اذا جاز لي ان اطلق عليهم هذه التسمية يهاجمون السلوكية ،منهم على سبيل المثال (دانييل دينت 1942) و نيد بلوك (1942) وايضا (جون سيريل 1932) و(دونالد دافسون 1917) و(ديفيد جالمرز 1965) في معظم مؤلفاتهم . وليس هؤلاء فقط من يهاجمها بل ان العلماء في اقسام علم النفس يفعلون ذلك بل ويمتلكون مخزونا قاسيا من النكات حولها . "سيريل ,2007،ص50 “

اما النظرية الذاتية (Identity theory) من جانبها فهي تقول ان ديكارت ليس مخطئا منطقيا بل انه مخطئ واقعي . ومن ابرز المدافعين عن هذه النظرية هما الفيلسوف البريطاني (ي.ت.بلاس – 1924u.t.place - 2000) والفيلسوف الاسترالي (ج.ج. سي.سمارت – j.j.C.Smart

الوعي جزء لا يتجزأ من الطبيعة فهو ليس شيئا مفارقا، ولكنه لا ينطوي على حقائق مادية اي انه لا يفسر بواسطتها وليس تابع لها. ولكن كيف؟ هذا ما لم يجب عليه جالمرز.

اما الواحدية فهي على نوعين واحدية عقلية التي تقول ان الوجود هو اساسا عقلي او روحي بمعنى اولوية الروحي والعقلي على بقية الاشياء، وبصورتها الاكثر تطرفا تقول انه لا يوجد بالحقيقة سوى الافكار (بركلي) وطوال تاريخ الفلسفة كان للمثالية جاذبية خاصة عند معظم الفلاسفة وبالذات الفلسفة الالمانية، وسأكتفي فقط بهذه الإشارة للمثالية السبب انها ليست مؤثرة في الوقت الحاضر باي صورة من صور التأثير على بحوث الوعي. وربما بشيء من التجاوز يمكن ان نعتبر فلسفة عالم المنطق والرياضيات (الفريد نورث وايتهيد) مثالية فهو ينزع في آرائه الفلسفية نحو الميتافيزيقا، ولكنها ميتافيزيقا تختلف عما هو معروف في هذا الحقل من الفلسفة، ذلك انه يتخذ من دراساته العلمية الرياضية والطبيعية اساسا لهذا الاتجاه. كان وايتهيد من اشد المنتقدين للثنائية الديكارتية ويعتقد ان الفكر الاوربي قد تسم نتيجة لهذه الثنائية المتطرفة، لذا كانت محاولته منسوبة على تأكيد حقيقة واحدة هي كون العقل والمادة يمثلان نسيجا واحدا لا يتجزأ. "ياسين خليل. 1970، ص 225-236 ."

اما الواحدية بشكلها المادي. فهي الاكثر حضوا الان في الاوساط الفلسفية والعلمية. ولكنها بالطبع لا تأتي بصيغة واحدة . ويقول سيريل ان المادية هذه الايام اصبحت مثل الدين بين المتخصصين في حقول الفلسفة وعلم النفس والعلم المعرفي والحقول الاخرى التي تدرس العقل "سيرل، 2007،ص46".

ان المصطلح المحبب لدى جميع الوان المادية هو (الاختزال – Reductive) والذي يعني: قدرة العلوم الطبيعية على تغطية كافة حقائق الحياة والتجارب الإنسانية بغير استثناء بما فيها الحالات العقلية الواعية التي يمكن يمكن اختزالها وردها الى حالات كيميائية - فيزيائية سابقة عليها. واذا كانت السلوكية تجسيدا صارخا لهذه النظرية، فهي تنكر ان هناك شيء اسمه العقل او الوعي. لكن الشيء الملاحظ ان الغالبية العظمى من المهتمين بدراسة الوعي يهاجمون السلوكية التي هي اول من انتهج التفسير المادي للسلوك، وان العقل ليس سوى سلوك الجسد، وحتى تضع علم النفس بمستوى العلوم الطبيعية الاخرى اصرت على انه يتوجب على علم النفس ان يترك الاستبطان ويهتم ويدرس فقط السلوك الذي يمكن ملاحظته بصورة موضوعية وتجريبية، وبهذا يمكن الوصول الى (قوانين علمية) تتيح لنا تفسير السلوك البشري، من دون

. فليس هناك لغز في الامر ولا مشكلة صعبة. وتقول ايضا ان الشيء الذي يجعل الحالات الدماغية حالات عقلية هو نوع معين من الوظيفة في السلوك العام للكائن العضوي . وهناك بعد مهم لتصور الوظيفة للحالات العقلية، فهي تدمج العالم العقلي بعالم مألوف من الموجودات الوظيفية. فاذا سألنا مثلا : ماهي العجلة؟ او ما هو الثرموستات؟ او ماهي الساعة؟ يمكن الاجابة عن جميع هذه الاسئلة سببيا بوصف الوظائف التي تقوم بها العجلات والثرموستات والساعات، فنحن لا نعرف اي من هذه الاشياء بواسطة مكوناتها المادية، فيمكن صنع الساعة من اتراس ودواليب، ويمكن صنعها من الساعة الرملية، ويمكن صنعها من الكوارتز النابض، اي يمكن صنعها من العديد من المواد المادية، ولكن الصفة التي تعرف الساعة بوصفها ساعة هي انها آلة مادية تمكننا من قياس الوقت. وبالمثل يمكن قول ذات الشيء عن العجلات والثرموستات. والحالات العقلية هي مثل الساعات والعجلات والثرموستات، لا نعرفها عن طريق مكوناتها المادية ولا بواسطة اي جوهر عقلي ديكارتي، ولكن بالأحرى بواسطة علاقاتها السببية. وتعتقد الوظيفية ان كل موجود دون استثناء مربوط بعلاقات معينة مع منبهات داخلية ومع حالات عقلية اخرى بإمكانه ان يسبب سلوكا خارجيا.

ارادت الوظيفية الاجابة عن السؤال: لماذا ننسب حالات عقلية واعية لل بشر؟ وقد اراد الوظيفيون معرفة طبيعة الحالات الدماغية الباطنية التي تمكنهم من معرفة السلوك سببيا، وكيف تختلف الحالات العقلية عن بقية انواع حالات الدماغ؟. واحد من هذه الاجوبة هو: ان السؤال ليس فلسفيا او بكلمة ادق غير مناسب للفلسفة على الاطلاق. ويتوجب تركه لعلماء النفس وعلماء النيروبيولوجيا . ان الدماغ يشبه (الصندوق الاسود) ينتج سلوكا كرد فعل لمنبهات، والفلاسفة ليس بحاجة لان يعرفوا مضمون الية عمل هذا الصندوق، بالرغم من انها لا تتناسب مع الفضول العلمي والمعرفي الذي عرف عن الفلسفة (سيرل.2007، ص50-58).

وهناك راي اخر للوظيفية عد حين ظهوره أهم واقوى نظرية في العقل في العقود الاخيرة من القرن العشرين. هي ان العقل كومبيوتر رقمي، وكآلة من هذا النوع فهو ينفذ عمليات حسابية عن طريق تطبيق برامج، وما نسميه العقل هو برنامج او مجموعة من البرامج، ولكي نفهم القوى المعرفية الإنسانية فأن كل ما نحتاج اليه هو اكتشاف البرامج التي تقوم بتنفيذها الكائنات البشرية فعلا عندما يستعملون قواهم المعرفية. وقد اعتقد الكثيرون ان هذا الراي حل بصورة نهائية المشكلة التي واجهت الفلسفة طوال تاريخها، وتم انجاز هذا الحل بتعاون عدة علوم : علم النفس

1920-2012) يرى أصحاب هذه النظرية بصورة عامة، ان ما نحسبه عقلا هو في الواقع دماغ وان ما نسميه بحالات الوعي هي حالات دماغية. بمعنى هناك تطابق بين الحالات العقلية والحالات الدماغية. بعبارة اخرى ان الوعي الذي نحسبه شيئا بالإضافة الى الجسد هو في الحقيقة امتداد للعمليات الفيزيولوجية الجسمية والتي هي بدورها امتداد للعمليات الفزيائية في العالم الذي نعيش فيه ونخضع لقوانينه. ويرى بلاس انه لا يعني بأن الوعي عملية تحدث داخل المخ، بل يعني انه يمكن رد القضايا عن الاحساسات والصور العقلية او تحليلها الى قضايا عن عمليات داخل المخ. والى المعنى نفسه ذهب سمارت في قوله ان الاحساسات عمليات في المخ لا بمعنى امكانية ترجمة القضايا عن الاحساسات الى قضايا عن عمليات داخل المخ. ان ما تعنيه هذه النظرية، هو ان ما تقرره عبارة الاحساس هو ذاته في الواقع عملية داخل المخ. ليست الاحساسات سوى عمليات داخل المخ . وحين نتساءل عن ميررات رفض دعاة الذاتية تبرير الهوية التي تتأسس على التكافؤ المنطقي كما كان يقول الفلاسفة السلوكيون، الجواب: ان ذلك يرجع كما يقول بلاس الى ان قيام الهوية على اسس منطقية يؤدي الى الاعتقاد ان مجرد بيان استقلال معنى اي قضيتين استقلالاً منطقياً يكفي للاعتقاد ان الكيانات التي تعبر عنها القضيتان وهما طرفا التكافؤ، ستكون كيانات مستقلة من الناحية الانطولوجية. في حين ان الامر ليس هكذا دائما، ومن الحالات الاستثنائية هي طبيعة العلاقة بين العمليات في المخ والوعي. لكن تبقى حقيقة ان هذه النظرية هي نظرية منطقية اكثر منها تجريبية وان اكثر من مصطلحات الفسيولوجيا . ومن ابرز من انتقدها هو الفيلسوف الامريكي (دونالد دافسن 1920-1997). "بهاء درويش.2002، ص. 17-18".

ويقدم نظرية قريبة جدا من النظرية الذاتية. يسميها سيرل (بالواحدية الشاذة- Anomalous Monism) (سيرل. 2007، ص.66)

والنظرية المادية الاخيرة التي سأذكرها هنا – لا نه توجد اراء مادية اخرى كثيرة وهي خليط من العلم والتأمل الذاتي والرغبة في صياغة نظرية وغيرها من الأسباب، مثل (المادية الاقصائية – Eliminative Materialism) التي تنكر وجود الحالات العقلية بصورة تامة . – النظرية الاخيرة هي (الوظيفية – Functionalism) وهي نظرية لها حضور كبير في الوقت الحالي اكثر من اي لون اخر من الوان المادية . الوعي عندها هو جزء لا يتجزأ من العمليات الدماغية المعقدة، لذا لا جدوى من السؤال عن سبب تطور الوعي لان اي كائن تطور بحيث اصبح يمتلك ذكاء وادراك حسي وذاكرة ومشاعر يكون واعيا بالضرورة

الاكواب لا تشعر ولن تواجه مشكلة في القول ان الاواني والاكواب ليست واعية، لكن اذا انتقلت الى كائنات حية مثل الخفايش، فستجد انك لا يمكنك ان تعرف كيف يكون الحال، لكن لو فكرت ان هناك حالا معيناً تكون عليه كما لو كنت خفاشاً، فانت تعتقد ان الخفاش كائن واع. وقد ضرب (ناجيل) بالخفايش مثلاً لأنها مختلفة عنا تماماً، فهي تطير وتعيش معظم حياتها في الظلام، وتتدلى راساً على عقب من الاشجار، او في كهوف رطبة، وتستخدم نظام سونار - بدلاً من الابصار - لرؤية العالم، وهكذا تعرف طبيعة العالم من حولها. فكيف يكون الحال ان كنت تترك طبيعة العالم حولك بهذه الطريقة؟ لا فائدة من تخيل نفسك خفاشاً، لان الخفاش الناطق المتفكر لن يكون خفاشاً طبيعياً على الاطلاق، وفي المقابل اذا اصبحت خفاشاً طبيعياً، فليس في مقدورك التفكير او الكلام، فلن تستطيع الاجابة على سؤالك. ويمكن للمرء ان يمتلك معرفة كاملة بميكانيكيات النيرولوجيا والبيولوجيا الخاصة بالخفاش ومثلها يمتلك معرفة كاملة عن جميع العمليات الحيوية التي تمكن الخفاش من الطيران، بالرغم من كل هذه المعرفة فيبقى هناك شيء ناقص عن معرفة هذا الكائن. ما معنى الخفاش من وجه نظر الخفاش؟ وما نوع الشعور الذي يميز الخفاش كخفاش؟ و يرى (ناجيل) اننا لن نعرف الاجابة ابدا طالما لانعرف الخاصية الذاتية للوعي، وخلص الى ان المشكلة لا حل لها. " بلاكمور 2016، ص 11-13".

وهناك حجج اخرى اصبحت معروفة الان ضد الوظيفية، منها حجة (ند بلوك) (الامة الصينية) وحجة (شاؤول كريبك) (المسمى الصلب)، وكذلك حجة (جون سيرل) (الغرفة الصينية) وحجة اماكن وجود (الزومبي) "سيرل. 2007، ص 77-80" حيث لا يتسع المجال للتفصيل فيها، لكنها اضعفت الوظيفية الى حد كبير.

هل هناك امل؟:

بعد هذه المسح المختصر لمشكلة الوعي، والنظريات المختلفة التي حاولت ان تقدم تفسيراً له، فإن المشكلة بقيت دون حل الى الآن. اقصد حلاً نهائياً نستطيع الركون اليه بلا تردد، ان ميدان الدراسة والبحث مازال مفتوحاً، وهناك اغراء مستمر لكثير من الفلاسفة والعلماء اصحاب التخصصات الدقيقة ذات الصلة، ان يخوضوا غمار البحث في هذا الموضوع، فعلى سبيل المثال صرح مرة عالم الفيزياء الفائز بجائزة نوبل صاحب نظرية الاوتار الفائقة (د.ميشيو كاكو) بان لديه فضول قوي لدراسة هذه المشكلة ويستغرب قلة البحوث في الموضوع بالرغم من أهميته. (*)

المعرفي وعلم اللغة وعلوم الكمبيوتر والذكاء الاصطناعي. وبدا للجميع كما لو ان حل المشكلة الصعبة قد وجد: ان الدماغ هو كمبيوتر رقمي، المخ هو كمبيوتر والعقل هو برنامج او مجموعة من البرامج، فالعقل بالنسبة للمخ هو مثل (البرامج - software) بالنسبة للعتاد الصلب - hardware) للكمبيوتر. وبدأ وكأنه مع هذا الجواب حصلنا اخيراً على جواب للمشكلات التي ازعت ديكارت. وبهذه الطريقة اكتسبت نظرية العقل الكمبيوترية تأثيرها في بدايات علم المعرفة. ان مشكلة الوظيفية انها تنكر الصفات الخاصة الجوهرية (الكواليا - Qualia) وهو المصطلح الذي تحدثنا عنه في بداية البحث، فالوظيفية تهمل هذه الصفة الخاص والمميزة لوعينا. وكل نظرية بما فيها الوظيفية تنكر هذه الصفة المميزة لواعينا لهي نظرية زائفة.

كيف ستدرك العالم ان كنت خفاشاً؟

احدى اقدم الحجج ضد الوظيفية هي حجة (الخفاش) فكيف يكون الحال لو كنت خفاشاً؟ احتل هذا السؤال الظريف أهمية في تاريخ دراسات الوعي، وقد نال شهرة كبيرة حين عاد فيلسوف العقل الامريكي (توماس ناجيل) استخدامه في مقال بذات العنوان:

(What it is like to be a Bat) سنة 1974 وهي منشورة ايضا ضمن كتابه (mortal Questions. Cambridge. 1979) حيث يرى ان كل النظريات المادية والوظيفية التي تحاول ان تفسر الوعي او العقل تغفل حقيقة مركزية وهي: ان ثمة شيئاً نشعر به حين يكون المرء في وضع مادي او وظيفي معين. اننا نرى تعارضاً بين الخبرة المعاشة القريبة من الذات المفردة، والتصورات العمومية النظرية التي يبدو كما لو انها تطرح افضل تفسيرات شاملة. فلو افترضنا اننا نمتلك تفسيراً كاملاً ومرضياً من الناحية الوظيفية والمادية والعصبية لمختلف الحالات العقلية سواء فيما يتعلق بالمعتقدات والرغبات والامال والمخاوف. ومع ذلك فإن هذا التحليل سوف لن يفسر الوعي. وليبان كيف ان مشكلة الوعي تجعل من المشكلة الفلسفية التقليدية، مشكلة العقل - الجسد وطبيعة العلاقة بينهما في غاية التعقيد. (Nagel.Thomas, 1979.p.56) ملخص هذه الحجة هو:

اذا كان هناك حال معين نستطيع به ان نرى نفسك في حال كما لو كنت خفاشاً، حال يشعر به الخفاش نفسه، فالخفاش اذا كائن واع، واذا لم يكن هناك حال معين تكون قادراً على رؤية نفسك فيه، فالخفاش غير واع. ولو صغنا الحجة بطريقة اخرى تخيل كيف يكون الحال لو كنت كوباً؟ من المرجح ان جوابك سيكون انه لن يكون هناك مثل هذا الحال لان

ومع افتراضي ان القارئ قد اصبح لديه تصور معقول لأبعاد هذه المشكلة، وكم هي من نوع المشاكل التي تؤرق الذهن وترهقه . فيا ترى هل هناك أمل ؟ هل نأمل يوما ما ان يكون هناك حل علمي لهذه المشكلة؟ أشك ان الحل سيأتي من عالمنا العربي فهي ليست على قائمة موضوعات الفكر العربي بالمرّة، ولا هي من أولوياته ولا تشكل لها له . ولا ضير في ذلك لا نه مهموم بأمور اخرى . لكن الشيء الملفت للنظر اثناء كتابتي للبحث هو ان الغالبية العظمى من المهتمين بهذه المشكلة هم من اللذين ينتمون الى العالم الثقافي الأنجلو سكسوني ، فهم في غالبيتهم العظمى أمريكيين وأستراليين وبريطانيين. ربما نجد هناك باحثين من دول أوربية أخرى لكن للأمانة لم يصادفني اي اسم خلال البحث، هذه ملاحظة عابرة ليس من ورائها اي قصد عنصري او تشكيك بالدوافع العلمية على الاطلاق .

وبعد ان تبلورت المشكلة بصورتها النهائية في العالم المعاصر، اما ثنائية او احادية مادية في معظم الحالات، اصبح بالإمكان تصنيف الباحثين تحت هذين المسميين العريضين، وكل اسم منهم تلازمه الفكرة التي اتى بها ، فعلى سبيل المثال الفيلسوف ديفيد تشالمرز تعد نظريته نوع من الثنائية ، فهو يجادل بأنه بالإضافة إلى المادة، والجاذبية، والمكان، والزمان فإن الوعي هو مكون أساسي ثانٍ في العالم. أما الفيلسوف الأمريكي "بول تشرشلاند" فهو واحدي "مادي اقصائي"، لأنه ينكر وجود شيء اسمه الوعي. اما "جون سيرل" فهو واحدي "مادي انبثاقي"، فالوعي عنده هو مستوى متميز من الظواهر الناشئة من نشاط الدماغ بمستوى أقل ، والذي لا يوجد إلا عند تجربته. وهكذا مع كثير من المفكرين والعلماء المعتمين بالمشكلة، والشيء اللافت ان جالمرز في اخر محاضراته عن الوعي التي القاها متلفزة في ملتقى "TED" رشح نظرية باعتبارها النظرية الرائدة الآن، وهي نظرية طرحها عالم الاعصاب "جوليو تونوني" سنة 2008 وهو عالم اعصاب وطبيب نفسي ايطالي مقيم في الولايات المتحدة. تدعى (نظرية المعلومات المتكاملة) اختصارا تعرف ب (IIT) ربط هذا العالم الوعي بالمعلومات ، فحيثما توجد معالجة للمعلومات يكون هناك وعي ، ومعالجة المعلومات المعقدة تعني وعيا معقدا كما هو موجود عند الانسان ، ومعالجة المعلومات البسيطة تعني وعيا بسيطا. وقام بتطوير هذه النظرية مع نظرية رياضياتية في نسق رياضياتي متكامل، ووضع مقياس يقيس كمية المعلومات بـ (Phi - فاي) ويفترض ان "الفاي" يتوافق مع الوعي . لذلك ففي المخ البشري هناك كمية هائلة من المعلومات المتكاملة

ودرجة عالية من الفاي . وتوجد كمية كبيرة من الوعي لدى الفأر فهناك درجة متوسطة لتكامل المعلومات اذاً هناك درجة مهمة من الوعي . ولكن عندما ننزل الى الديدان والميكروبات والجسيمات تتدنى كمية الفاي كما تتدنى كمية تكامل المعلومات لكنها لا تزال فوق الصفر . في نظرية تونوني لا يمكن ان نصل الى درجات صفرية في الوعي فالقانون المقترح هنا هو : كلما ارتفعت درجة "الفاي" زاد الوعي . ويقول جالمرز عن هذه النظرية ان لديها ميزة جميلة وهو كونها بسيطة جدا بحيث من الممكن كتابتها على مقدمة التي شيرت او القميص وهو ما يحلم به جالمرز . (**). وتذكرني هذه النظرية براي لبينتز في الادراكات المتناهية الصغر (petites perceptions)، بالنسبة لبينتز الكون مؤلف من ذرات روحية يسميها "موناتات" وهي مراكز ادراك بذات الوقت، وتتفاوت درجات الادراك في هذه الموناتات من ادراك الله الى الادراكات المتناهية الصغر التي تتألف منها المادة الفيزيائية، فالاخيرة إدراكات" ناعسة"، بمعنى ان الوعي والادراك يبقى حاضرا دوما في كل مراتب الوجود ولا نصل لحالة صفرية مثلما يقول "تونوني" وكلا النظريتين يندرجان فيما يسمى شمول النفس (panpsychism) اي الامتداد بالوعي او النشاط النفس بحيث يغطي جميع انحاء الوجود.

لكن يا ترى اين نضع هذه النظرية من تصنيفنا؟ انها احادية مادية طالما تشدد على امكانية وجود الوعي في اي مكان يجري فيه نمط صحيح من معالجة المعلومات سواء كان هذا المكان هو الدماغ البشري ام جهاز حاسوب.

اما التفسيرات الفلسفية للوعي التي تستند على معطيات العلوم الدقيقة مثل علم الأعصاب او علم النفس التجريبي فأنها تميل إلى أن تكون مادية احادية . فمن الصعب العثور على أتباع للثنائية أو للواحدية العقلية بين العلماء البارزين ربما الاستثناء هو عالم الفسيولوجيا الحائز على جائزة نوبل "جون إيكليس"، الذي دافع عن شكل من أشكال الثنائية التبادلية على غرار ديكارت. لكن ستجد على الجانب الاخر اقصد الجانب الديني الكثيرين ممن يسعون لتجبير نتائج العلوم لصالح الثنائية الحادة على المثال الديكارتي، وهو موقف ليس جديدا، الجديد هو التوظيف الايديولوجي لنتائج العلوم.

قلت في بداية البحث انه لا يمكن للفلسفة ان تدلي براي معتبر دون ان تأخذ أساسيات النظريات العلمية في الحسبان. فعلى سبيل المثال نظرية التطور من اساسيات البيولوجيا، والتطور يشمل جميع الكائنات الحية بما فيها الانسان، والذي لم يكن انسانا منتصبا عاقلا الا في فترات متأخرة من

خاص في الكون. فكل شيء يبدو متشابهاً، ولا توجد أماكن خاصة. وتم تضمين هذا الحقيقة بشكلٍ مطلق داخل نماذجنا الحالية عن الكون والمبنية على نظرية النسبية العامة لأينشتاين. اذاً نحن لا نشكل مملكة داخل مملكة، ولا نحظى بأي امتياز خاص دون بقية الكائنات. وهذا الاعتراض يوجه ضد المدافعين عن جوهرانية الوعي المطلقة واللذين يتماهون تماماً مع الطروحات الدينية التقليدية وان تزيت بزّي التحليل الفلسفي والعلمي . ونحن لا نستطيع تجاوز الارتباط الواضح بين عمليات الدماغ وتشكل الوعي، فهذه من الحقائق الراسخة في كثير من العلوم، فالدماغ البشري لديه اكثر من مئة مليار خلية عصبية تتصل ببعضها بمناهة من مئة تيريليون وصلة عصبية. ووفقاً للتقدير الصادر عام 2015 عن معهد سالك في سان دييغو - كاليفورنيا، فإن هذا يساوي، بمقياس سعة وحدة تخزين المعلومات التي تقاس بالبيتابايت: ملايين من الجيجابايت. ريتشارد ويب -2017". كلها تعمل معا في اقل من جزء من الثانية لتعطيك شعوراً ما او احساسا او ذكرى او فكرة، ومع ذلك وبالرغم من هذا الارتباط الواضح بين عمليات الدماغ والوعي ، فإن معظمنا يعاني من وهم كبيراً أثناء تقييم قدرتنا على المعرفة الذاتية، وهذا الوهم هو أن ذاتنا موجودة بعيداً عن جسمنا المادي على طريقة ديكارت الذي كان يعتقد بإمكانية وجود ذاته المحضة بدون جسده . لكن علماء الأعصاب اليوم ويتبعهم في ذلك بعض الفلاسفة "سيرل مثلاً " أن هذا النوع من الذات "الأنطولوجية" هو محض خيال: لا وجود لذات منفصلة عن الدماغ الذي يتفاعل معها. إن هذه "الأنا" التي نشعر بها، هي نتيجة العمليات المادية التي تشكل أدمغتنا وأجسامنا. وعندما يموت الجسم، فإن "الأنا" تموت معه. وإذا كان الامر كذلك فقد لا تكون هذه هي النهاية المرجوة لرحلتنا الفلسفية لمعرفة ما هو الوعي.

- مصادر البحث :

1. ابراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، القاهرة، 1983
2. بلاكمور، سوزان، الوعي: مقدمة قصيرة جداً، ترجمة مصطفى محمد فؤاد، ط1، مؤسسة هندواي، 2016
3. بهاء درويش- فلسفة العقل عند دونالد دافسن، منشأة المعارف - الاسكندرية، 2002.
4. هوند تدرش، معجم اكسفورد للفلسفة، ترجمة نجيب الحصادي ، ليبيا، المكتب الوطني للبحث والتطوير، المجلد الثاني، دون تاريخ.

التطور؛ لذا نستطيع ان نستنتج انه كانت هناك حقب من التطور شهدت غياب تام للوعي بصورته البشرية، اذاً ظهر الوعي هو حدث تاريخي، بمعنى انه حدث في زمان ما من ازمة التطور وربما في زمن متأخر في التاريخ التطوري ، فلا يمكن للوعي ان يكون جزء اساسي من مكونات العالم حال قوانين الفيزياء، اذ يمكن تصور العالم بدون الوعي ، لكن لا يمكن تصوره بدون قوانين الفيزياء . هذه حجة ضد فرضية جالمرز الذي يبدو انه يتجاهل هذا المبدأ.

وليس هذا دفاع عن المادية من جانبي، فهي لا تشكل اي اغراء لي في قضية تفسير الوعي، فانا مؤمن تماماً بفرادة الوعي، وهو من الالغاز التي عجزت البشرية الى الان عن ايجاد تفسير مقنع له، وان وجد هذا التفسير يوماً ما ، فسيكون ربما اهم فتح علمي انجزته البشرية في تاريخها . وقد الف الأستاذ "جون لويس" كتابه "الانسان ذلك الكائن الفريد " والذي يعد دفاعاً نموذجياً عن فرادة الانسان بين الكائنات الحية، وهجوماً عنيفاً ضد الاختزالية بكل صورها والفرادة التي يتحدث عنها لويس متأتية من امتلاك الانسان للوعي، ومع هذا فإنه بالرغم من تبجيله لهذه الصفة الفريدة في الانسان، فإنه لم يجب عن السؤال ماهو الوعي؟ "جون لويس، 1986 "

لان هذه الفرادة والتميز للوعي تثير بعض الشكوك ، فاذا كان امتلاكنا للوعي هو شيء فريد ومتميز خاص بنا نحن بنو الانسان دون بقية الكائنات الحية الاخرى، فهذا يستدعي ايضاً ان يكون المكان الذي نعيش فيه ايضاً يمتلك هذه الفرادة - اقصد كوكب الارض-، فاذا كنا مميزين حقاً بامتلاكنا الوعي، فان الامر ليس كذلك بالنسبة لكوكب الارض التي نعيش عليها، اذ انها وكما يخبرنا علم الفلك لا تعني شيئاً على الاطلاق لا من حيث الحجم ولا الموقع ولا اي شيء اخر.

ويخبرنا علم الفلك ايضاً ان كوننا بمجمله يؤيدُ الفكرة القائلة بعدم تميزنا ، لان نحن، ولا الأرض التي نعيش عليها كذلك. كانت بداية هذه الفكرة تعود عصر النهضة واكتشاف كوبرنيكوس في بداية القرن السادس عشر أن الأرض تدور حول الشمس، واطاحته بنظام بطليموس المبني على اساس ان الارض هي مركز الكون وان الشمس وبقية الكواكب تدور حولها. فحينها وبشكلٍ مفاجئ لم نعد مركز الكون. وضرب غرور الانسان وادعاءاته بالتميز بالصميم، وتلاشت مركزية الانسان، ومنذ ذلك الحين صار من الواضح أن الأرض مجرد كوكب يدور حول نجم آخر وداخل مجرة كالعديد من المجرات الأخرى. وتحول اكتشاف كوبرنيكوس ذلك إلى المبدأ الكوبرنيكي الذي ينص أنه بالمتوسط لا يوجد مكان مميز بشكلٍ

- (*) قال العالم ميشيوكاكو هذا الكلام في لقاء أجرته معه محطة cnn الأمريكية في برنامج حوارى حول مستقبل الذكاء الصناعي، واللقاء موجود على الشبكة العنكبوتية موقع اليوتيوب
- (**) المحاضرة القاها جالمرز في نادي (TED) للمحاضرات العلمية وهي محاضرات متلفزة وعنوان المحاضرة هو (How we can explanation the Consciousness) ورابط الموقع هو ted.com/talks وقام بترجمة المحاضرة ايمان عبد الجواد Encyclopedia of philosophy.com Stanford:13-
"http://Consciousness
- Lacey. A.R. Dictionary of philosophy .third .edition -15
.Department of philosophy ,Kings College, University
. of London.1996
- Chalmers, David, the conscious Mind, Department - 16
of philosophy, university of California.1995
- Chalmers ,David, Consciousness and its place in -17
.nature,MITPress,1998
- Searle, John. The Rediscovery of the Mind. -18
.Cambridge, Massachusetts: MIT Press, 1994
- Ryle,Gilert,The Concept of Mind, Routhledge ,New
-york,2002.. 19
- Jospeh,Levine, Conceivability, Identity, and the - 20
Explanatory Gap,in-Towards Science of consciousness,
MIT press,1999
- Passmore.John,A Hundred Year of Philosophy, -21
Pelican Book.reprinted,1972
- Nagel. Thomas, mortal Questions. Cambridge.1979 -22
5. كويلستون ، تاريخ الفلسفة، المجلد الرابع، الفلسفة الحديثة من ديكرات الى ليننتز ،ترجمة وتعليق ،سعيد توفيق ومحمود سيد احمد مراجعة وتقديم امام عبد الفتاح امام ،المركز القومي للترجمة ،القاهرة، ط 1، 2013
6. لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية ،ترجمة خليل احمد خليل ،المجلد الاول ،منشورات عويدات ،بيروت- باريس ط 2 ،2001 .
7. ليننتز - الايضاح الثالث - ضمن كتاب: جورج طعمة "فلسفة لايننتز- مع تعريف المونا دولوجيا ونصوص اخرى ،مكتبة اطلس ،دمشق ،ط2، 1982.
8. لويس ،جون ، الانسان ذلك الكائن الفريد ،ترجمة د. صالح جواد كاظم ،دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد - العراق ،ط 2 1986 .
9. ريتشارد ويب ، الحد الأقصى الذي قد تصل إليه معرفة أي شخص، مقال منشور في مجلة العلوم الأمريكية "النسخة العربية " عدد سبتمبر الكويت -2017. ويصدد عدد الخلايا العصبية ،فستان بين الرقم الذي يذكره هذا التقرير والرقم الذي تذكره سوزان بلاكمور في كتابها "الوعي - مقدمة قصيرة جدا "حيث تذكر ان عدد الخلايا العصبية هو مليار خلية عصبية . ص21.
10. سيرل،جون، العقل :مدخل موجز ،ترجمة، ميشيل حنا متياس ،سلسلة عالم المعرفة ، الكويت 2007.
11. هنترميد - الفلسفة انواعها ومشاكلها ،1975 ترجمة فؤاد زكريا ،دار نهضة مصر للطباعة ،القاهرة ،ط2 ،1975.
12. ياسين خليل، مقدمة في الفلسفة المعاصرة ،منشورات الجامعة الليبية ،كلية الاداب ،بيروت ،ط 1،1970.
13. يوسف كرم ،تاريخ الفلسفة الحديثة ، بيروت ،ط6، 1983
14. ت،ز،لافين، من سقراط الى سارتر - البحث الفلسفي - ت، اشرف محمد كيلاني ،مراجعة وتقديم سعيد توفيق 'المركز القومي للترجمة ،القاهرة .ط 1، 2012